عالم الدلالات
في الشعر الفلسطيني

الياس خوري

١ –

تأخذ القراءة النقدية للنتاج الادبي الفلسطيني معنى خاصا ، حين تأتي من داخل هذا النتاج بوصفه ممارسة تتشكل من خلال التقاء مستويين من الرؤيا الابداعية داخل حقل واحد . فهذان المستويان : مستوى الانطلاق من حيز مكاني ، داخل دلالات المكـــان ، او الامتداد نحو المكان وشحنه بالدلالات التاريخية والمستقبلية ، لانه يشكل من الداخل والخارج اطار الصراع ومدخله والحس الاولي الذي يمتزج به . ومستوى البحث عن مناطق اشعال الواقع وتفجيره في سبيل الوصول الى اقصى درجات التوتر الصدامي الذي يفرض وعيا مأساويا هو جزء من مفهوم المعركة المفترضة او التي تخـــاض باسم الشعب بأسره . في نقطة التقاء هذين الحدين ، تتكون الملامح الخاصة للصوت الادبي الفلسطيني حيث النقطة المحورية هي في **دلالات المكان**. هذه الدلالات هي نقطة الانطلاق التي تشحن الرؤيا وتقيم للزمن الثقافي أبعاده الجديدة . أي ان اشكال المواجهة التي تتخذ من الشعر او القصة والرواية مسرحا لها ، لا تبقى محدودة في التحليـــل النهائي بنقاط انطلاقها ، بل يأتي الرمز او عالم العلاقات الفجيعية ليشكل المقترب الذي يعطي مدلولات جديدة للاشياء . فتصبح هذه المفاصل بدايات جديدة داخـــل حقل يتعدد ، وتتمايز الاصوات فيما هي تحاول الاقتراب من نقطة مفترضة هي ايصال هذا الوعي العام الى اقصى درجات توتره . هذا التعدد في المقتربات وعالم العلاقات الدلالية هو الذي يكون **الزمن الادبي** . هنا لا يعود الموضوع حدا ، بل يصبح مدخلا. لا يرسم المكان الاطار ، بل يفتح امكانات عدة . فالزمن الادبي هو عالم الدلالات التي تتركب داخـــل كل بنائي . فاكتشاف تطور الدلالات واطار هذا التطور هو المدخل النقدي الذي يواكب المدخل الابداعي الذي يقيم هذه العلاقات الدلالية في مستوى تطور الاشارة وتطـــور علاقاتها الداخلية . عند هذه النقطة يتحول الزمن الادبي الى زمن العلاقات المتشابكة ، ويتحول بعده الايديولوجي الى جزء من المقترب الادبي العام . فيفقد هذا البعد استقلاله داخل العمل ، ليبقى محددا لافاقه ، واطارا لدراسته في التنظير الذي يكتفي من البنيـــة الادبية ببعض نقاطها . هنا نصل الى السؤال الاساسي الذي تطرحه الممارسة الادبية على نفسها . كيف نصل الى تفجير الابعاد التعبيرية داخل الحقل الادبي ؟ كيف تتمفصل عناصر هذه الابعاد في وحدة متكاملة هي بنية العمل الادبي ؟ عند نقطة هذا التســـاؤل المشروع يفقد الادب الفلسطيني طابع فلسطينيته ، بمعنى خصائصه الثابتة المتميزة . فيتحول من مجرد ظاهرة ثقافية ترافق ممارسة نضالية محددة ـــ حركة المقاومة ـــ الى حقل لا يمكن فهمه ودراسته ، الا من خلال ادراجه داخل **كيف** أكثر اتساعا وشـــمولا . داخل بنية الاسئلة التي يطرحها الأدب العربي على نفسه . لكن الخصائص التي ينفرد